

خواطر مسافر

استلقى صاحبنا على فراشه يطارد الكرى ، ومازالت تلك العبارة التي ودعته بها إحدى مريضاته صبيحة ذلك اليوم ترنُّ في أذنيه "كلانا يا دكتور راحل إلى مكان ما" ... تذكر لقاءه الأول مع هذه المرأة الخمسينية منذ سبع شهور خلت... يا لله لكأنما شاخت فجأة... لقد حفر همُّ مرض السرطان أخايديه في وجهها... وبعد جلسات علاجية متوالية لدعمها في معركتها الشرسة مع المرض كان الوداع حتمياً... هي تعدّ أيامها الأخيرة في هذه الأيام وصاحبنا يربط أمتعته راحلاً لمدينته.

تاريخ الثلاثين من يونيو 2010 يوم مختلف في حياة صاحبنا... كل الأوراق الرسمية التي بحوزته تشير لهذا التاريخ كآخر يوم له في كندا... لا بد أن يغادر... لقد انتهت بعثته... بعد هذا اليوم سيتوقف عمله في مستشفيات جامعة تورونتو وتأمينه الصحي وراتبه من الملحقة... مسكنه سيؤول لعائلة أخرى... وسيارته سيقودها شخص آخر.

"كلانا يا دكتور راحل إلى مكان ما"... تذكر صاحبنا أنه كما سيرحل بإذن الله إلى الرياض في الثلاثين من يونيو فإنه ولا ريب سيرحل يوماً ما إلى الدار الآخرة... لقد استعد لرحلة الرياض منذ بضع شهور، وأعد العدة لرحلته بحيث يمر بدبي ويقيم ليلة في أحد فنادقها في طريقه للرياض... أما رحلته للدار الآخرة فقد حُدِدت ساعتها قبل أن يُخلق {إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}... هو لا يدري متى وأين تحين؟... لكن الشيب وقد غزا فوديه ينذر كل حين {وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعلم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير}... هو يعلم أن سفره للدار الآخرة يمر بأهوال بعد أهوال... حياة البرزخ ثم يوم الجزاء والحساب... {تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}... في يوم يشيب لهوله الولدان { فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً}....وبعدها حياة الخلود إما في الجنة نسأل الله من رحمته أو النار عياداً بالله منها.

تنهد صاحبنا بحسرة وهو يقارن استعداداه ما بين هاتين الرحلتين... لقد عمل بجد واجتهاد لكي يعود للسعودية وقد حصل على الشهادات العليا في مجال تخصصه... لكن السؤال الكبير يظل دائماً عصياً على الجواب.. لماذا لا يستعد لرحلته للدار الآخرة كما يستعد لغيرها من الرحلات؟!... لقد قرأ في القرآن مرات ومرات صفات عباد الله المتقين، ولماذا استحقوا دخول الجنة دون غيرهم؟ {إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم}... ولم يزل يقرع سن الندم على غفلته وتقريطه... آه ثم آه ثم آه ... دمعت عيون صاحبنا أو كادت وهو يكرر أدعية النوم ويتضرع لخالقه " الله اجعلني ممن طال عمره وحسن عمله".... " اللهم اختم لي بخير وللمؤمنين والمؤمنات".

أخوكم/ فهد العصيمي